

هاجر إلى القاهرة ابن البيطار المالقي الأندلسي، وقد جعله سلطانها الكامل رئيساً على جميع العشابين بمصر، وطبيعي أن كانت لغته العلمية نفس لغتهم، وهو يعد أهم صيادلة العالم العربي. وهكذا يضاف اسمه وتضاف شهرته إلى العالم العربي لا إلى موطنه القديم الأندلسي ولا إلى موطنه الحديث مصر، وكأن العالم في أي بلد عربي لم يكن عالماً لبلده فحسب، بل كان عالماً للأمة العربية جميعها، فعلمه لجميع بلدانها لا فرق بين بلد وبلد.

ولم يهين ذلك لوحدة في التراث العلمي فحسب، بل هياً لنهضة علمية كبيرة، إذ تعاونت عقول كثيرة على الرقى بكل علم، بحيث كان علماؤنا يشعرون بأنهم علماء عالم واحد تعددت أقطاره، ولكل قطر دولته السياسية، أما في العلم فكانوا جميعاً يشعرون بأنهم علماء قطر واحد، بل علماء مؤسسة علمية واحدة تمتد أطناها حتى تشمل الوطن العربي جميعه. ويدل على ذلك أوضح الدلالة أن أسلافنا حين ترجموا لعلمائهم المختصين بعلوم الأوائل وفلاسفتهم لم يخصوا علماء أي بلدة وفلاسفتها بكتاب خاص تنفرد به، بل جمعوا علماء كل البلدان العربية وفلاسفتها في كتاب واحد اعتقاداً منهم بأنهم مشتركون في تراث واحد وأن وحدة علمية جامعة تضمهم لا فرق بين إيراني وعراقي وشامي ومصرى ومغربي وأندلسي، فهم جميعاً علماء عالم واحد وتراث علمي واحد.

#### ٤

وبما يوضح هذه الوحدة في التراث العلمي العربي ما أشرنا إليه في حديثنا عن المذاهب الفقهية وعلوم الأوائل من كتب التراجم، فقد ترجم الأسلاف لكل أصحاب مذهب فقهي على حدة، وجمعوا أصحاب علوم الأوائل معاً - كما ذكرنا آنفاً - في كتب خاصة بهم، وأفردوا كتباً لتراجم المفسرين والقراء والمحدثين أو الحفاظ للحديث النبوي والنحاة. فكل فئة علمية أفردوها أو خصّوها بكتب ترجم لأصحابها دون ملاحظة بلدانهم وأعصارهم، لا فرق بين علماء بلد وبلد